

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَدِمُوا صِلَتْكُمْ بِرَبِّكُمْ

الحمدُ للهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِعِبَادَتِهِ، وَأَوْجَبَ عَلَيْنَا دَوَامَ طَاعَتِهِ، وَيَسَّرَ لَنَا سُبُّلَ هِدَايَتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمْرَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: «وَاعْبُدُ رَبَّكَ حَقَّ يَأْنِيَكَ الْيَقِينُ»^(١)؛ فَكَانَ خَيْرُ الْعَابِدِينَ، وَأَثْبَتَ الْمُلَازِمِينَ لِرِضَا رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَعَلَى اللهِ وَصَاحِبِهِ وَمَنْ تَبَعَهُ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فِي عِبَادَةِ اللهِ: لَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى فِي تَعَاقِبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عِيرَةً لِأُولَى الْأَلْبَابِ، وَذِكْرَى لِمَنْ رَغَبَ فِي جَزِيلِ التَّوَابِ، «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا»^(٢)، فِي الْأَمْسِ الْقَرِيبِ وَدَعْنَا ضَيْفًا عَزِيزًا عَلَى نُفُوسِنَا، مُقْوِيًا لِإِيمَانِنَا، إِنَّهُ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي غَرَسَ فِي نُفُوسِنَا خَيْرًا عَظِيمًا، فَصَقَّ الْقُلُوبَ، وَأَيْقَظَ الضَّمَائِرَ، وَطَهَرَ النُّفُوسَ، وَمَنْ اسْتَفَادَ مِنْ رَمَضَانَ فَإِنَّ حَالَهُ بَعْدَ رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ قَبْلِهِ، فَشَهْرُ رَمَضَانَ مَحَطةٌ تَرَوُدٌ وَتَرْوِيْضٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَقَدْ أَدْرَكَ هَذَا مَنْ يَسِيرُونَ عَلَى هَذِي الْمُصْنُطَفَيِّ^{بِسْمِ اللَّهِ} فِي الْمُدَاوَمَةِ عَلَى الطَّاعَةِ، فَهُمْ اجْتَهَدُوا فِي رَمَضَانَ اجْتَهَادًا كَبِيرًا لِمَا لَهُ مِنْ مِيَزَةٍ فِي الْعِبَادَةِ لَيْسَتْ فِي غَيْرِهِ مِنْ الشُّهُورِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَجْعَلُوهُ وَحْدَهُ مَحَلًا لِلْطَّاعَةِ فَحَسْبٌ، فَلَا مُنْتَهَى لِلْعِبَادَةِ وَالنَّقْرَبِ إِلَيْ اللهِ إِلَّا بِالْمَوْتِ، أَمَّا التَّرَاجُعُ عَنِ الطَّاعَةِ بَعْدَ رَمَضَانَ، فَهُوَ مِنْ دَلَائلِ ضَعْفِ الإِيمَانِ، فَاجْعَلُوا - إِخْوَةَ الإِيمَانِ - مِنْ أَنْوَارِ رَمَضَانَ الْمُشْرِقَةِ مِشْعَلَ نُورٍ يُضَيءُ دَرَبَكُمْ سَائِرَ الْعَامِ، وَمَنْهَجُ حَيَاةٍ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ «وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَرَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَثَتْهُ تَتَخِذُونَ أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أَمْمَةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُو كُمْ أَللَّهُ بِهِ»^{بِسْمِ اللَّهِ}

(١) سورة الحجر / ٩٩ .

(٢) سورة الفرقان / ٦٢ .

وَلَيَعْلَمَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةَ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١﴾ .

أيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :

إِذَا كَانَ شَهْرُ رَمَضَانَ قَدْ وَدَعْنَا فَإِنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ لَا تُوَدَّعُ، فَمَنِ اسْتَشْعَرَ حَلَوَةَ الْمُنَاجَاةِ مَعَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي صَلَاتِهِ وَسُجُودِهِ، وَأَبْصَرَ الْأَثْرَ الْجَمِيلَ فِي الدُّعَاءِ؛ فَلَيَعْلَمَ أَنَّ رَبَّهُ تَعَالَى يُنَادِيهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ : «أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»^(٢)، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْقَائِلُ : «وَإِذَا سَأَلَكُمْ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَدْعَى إِذَا دَعَانِ»^(٣)، وَمَنْ تَعَطَّرَ لِسَانُهُ بِتِلَوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ خِلَالَ رَمَضَانَ فَلَيَلْزِمْ قِرَاءَتَهُ وَمُدَارَسَتَهُ، وَلَيُكِنْ لَهُ وِرْدٌ يَوْمِيٌّ مِنْهُ، وَلَيَتَذَكَّرْ لَذَّةُ التَّدْبِيرِ وَالْقِيَامِ فِي صَلَاتِي التَّرَاوِيْحِ وَالْتَّهَجُّدِ؛ رَاجِيًّا وَغَدَ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ : «وَمِنَ الْأَيَّلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ، نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا»^(٤)، إِنَّ سِرَّ الْأَعْمَالِ فِي دَوَامِهَا، قَبْلَ أَنْ يَكُونَ فِي كَثْرَتِهَا، فَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمْلِئُ حَتَّى تَمْلُوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَ)).

أيُّهَا الْمُسْلِمُونَ :

مَا بَالُ اُنَاسٍ عَرَفُوا الطَّرِيقَ إِلَى الْمَسَاجِدِ فِي رَمَضَانَ؛ وَرَأَتُوا فِيهِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا، فَلَمَّا رَحَلَ رَمَضَانُ وَدَعُوا الْمَسَاجِدَ وَوَدَعُوا الْقُرْآنَ، وَكَانَمَا الطَّاعَةُ وَالْعِبَادَةُ وَنَكْرُ اللَّهِ وَقِرَاءَةُ كِتَابِهِ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِمْ إِلَّا فِي رَمَضَانَ، وَكَانَمَا صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ لَمْ تُشْرَعْ إِلَّا فِي رَمَضَانَ، وَأَعْجَبْ مِنْ هُؤُلَاءِ مِنْ صَامَتْ جَوَارِحُهُمْ عَنِ الْأَثَامِ، فَلَمَّا قَضَى الشَّهْرُ تَبَعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ، وَوَقَعُوا فِي أَنْوَاعِ الْعِصْيَانِ، فَهُؤُلَاءِ جَهَلُوا مَعْنَى الطَّاعَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَقِيبٌ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِمْ وَأَزْمَانِهِمْ، »أَلَا

(١) سورة النحل / ٩٢ .

(٢) سورة غافر / ٦٠ .

(٣) سورة البقرة / ١٨٦ .

(٤) سورة الإسراء / ٧٩ .

يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْأَطِيفُ أَلْخَيْرُ^(١).

فَانْقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَرَأَفِيُّوهُ فِي السُّرِّ وَالْعَلَنِ، وَاعْبُدُوهُ كَأَنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا تَرَوْنَهُ فَإِنَّهُ يَرَكُمْ، وَدَأْوِمُوا عَلَى الطَّاعَةِ فَإِنَّهُ مُطَلِّعٌ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَّقَلَّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ^(٢). أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَشْرَحَ صُدُورَنَا، وَيَأْخُذَ بِأَيْدِينَا لِمَا فِيهِ الصَّالِحُ وَالسَّدَادُ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

أَقُولُ قُلْيٍ هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُهُ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الْكَرِيمُ.

*** * *** *

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا، سُبْحَانَهُ وَعَدَ عِبَادَهُ الْأَبْرَارَ نَصْرَةً وَسُرُورًا، وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرَيرًا، الْقَائِلُ جَلَّ شَانُهُ: «إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا»^(٣)، وَأَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَيْرٌ مَنْ أَدَمَ الصَّلَةَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَعَبَدَ اللَّهَ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ، وَعَلَى اللَّهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبَعَهُ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الِّإِقْبَالَ عَلَى الطَّاعَةِ فِي مَوَاسِيمِ الْخَيْرِ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، لَكِنَّ الَّذِي يَنْبَغِي الْحَذْرُ مِنْهُ التَّرَاجُعُ وَالضَّعْفُ وَعدَمُ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحةَ، فَعَلَى الْمُسْلِمِ إِذَا فَتَرَتْ هَمَّتُهُ أَنْ يَقِفَ عِنْدَ الْاعْتِدَالِ وَالْتَّوْسُطِ لِيُحَافِظَ عَلَى رَأْسِ مَالِهِ وَيُحْسِنَ الْانْطِلَاقَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الطَّاعَةِ بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ، فَالْاسْتِمْرَارُ عَلَى الْعِبَادَةِ دَلِيلٌ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، بَلْ هِيَ دَلِيلٌ عَلَى مَحَبَّةِ الْخَيْرِ وَالرَّغْبَةِ فِيهِ، وَلَهَذَا لَمَّا سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ قَائِلًا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا

(١) سورة الملك / ١٤ .

(٢) سورة محمد / ١٩ .

(٣) سورة الإنسان / ٢٢ .

غَيْرَكَ؟ قَالَ لَهُ: (قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ أَسْتَقِمْ)).

فَانْتَوْا إِلَهًا - عِبَادُ اللهِ -، وَاجْعَلُوا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ خَيْرًا مَدْرَسَةً تَخْرِجُهُمْ مِنْهَا، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُضِيغُوا صِيَامَكُمْ بِارتكابِ الْمُحَرَّمَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ فِي شَهْرِ الصِّيَامِ اعْتَادَتْ لِزُومَ الطَّاعَةِ وَالْمُدَوَّمَةَ عَلَيْهَا، فَكُونُوا كَذَلِكَ فِي جَمِيعِ شُهُورِكُمْ، اعْمَرُوهَا بِمَا يُقْرِبُكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ؛ يُحْسِنُ اللَّهُ أَحْوَالَكُمْ، وَيَخْتِمُ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَكُمْ.

هَذَا وَصَلَوَاهُ وَسَلَمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرُّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمْرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلَيْمًا: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَتَأَمَّلُهُمْ أَنَّهُمْ أَذْلَى مَنْ أَعْصَمُوا صَلَوَاعَلَيْهِ وَسَلَمُوا تَسْلِيمًا»^(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمَيْنِ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضِ اللَّهُمَّ عَنْ خَلْفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمِيعًا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَقْرِئَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَقْرِئًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقْىٰ وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلَّا مِنَا لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا خَاسِعًا، وَعَمَلاً صَالِحًا، وَعِلْمًا نَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعْزَزِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدِ اللَّهُمَّ صُنْفُوْقُهُمْ، وَأَجْمَعْ كَلْمَتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسِرْ شُوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَأَكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أُوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيْدِهِ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغْيِثُ أَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلُّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزَرْوُعَنَا وَكُلُّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

